كراسات فجر عاشوراء الإلكترونية | ٢٠

تجربتي التربوية في الحياة

(القسم الثاني: في الفضيلة)

محاضرة ألقيت على جمع من طلبة الجامعات

بتاريخ ٦ رجب الأصب ١٤٤٠هـ في النجف الأشرف

السيد محمد باقر السيستاني

منشورات مركز فجر عاشوراء الثقافي

التابع للعتبة الحسينية المقدسة-قسم النشاطات العامة

2020-١٤٤٢هـ

ممثلية قم المقدسة

مركز فجر عاشوراء الثقافي
التابع للعتبة الحسينية المقدسة ـ قسم النشاطات العامة

العراق ـ النجف الأشرف ـ
مقابل شارع الرسول صلى الله عليه وآله
هاتف: ٩٦٤٧٧٢٨٢٢٠٥٤٣+
fajrashura@fajrashura.com

عنوان الإصدار	:	تجربتي في الحياة القسم الثاني في الفضيلة
تأليف	:	السيد محمد باقر السيستاني
سنة الإصدار	:	صفر ١٤٤٢/٢٠٢٠
نوع الإصدار	:	إلكتروني ـ PDF
الناشر	:	مركز فجر عاشوراء الثقافي
الموقع	:	fajrashura.com

جميع الحقوق محفوظة © لمركز فجر عاشوراء الثقافي، يُسمح بالنَّشر غير النفعي الالكتروني ويسمح بالاقتباس مع ذكر المصدر ولا يسمح بتغيير جزء من اجزاء هذا الملف او طباعته في المطابع دون اذن رسمي من المركز

هذا الكراس هو من سلسلة مجموعة محاضرات ألقيت في جمع من أساتذة وطلاب الجامعات، وكانت في الحديث عن السلوك الراشد والقيم التربوية السليمة التي ينبغي أن يجري عليها الإنسان في هذه الحياة وفق المنظور الفطري الذي أكد عليه الدين.

إذ ليس هناك من غنى لأي إنسان راشد مهما كان دينه واعتقاده عن تحري الاتجاه السليم في هذه الحياة في التربية والسلوك سواء بالنسبة إلى نفسه أم بالنسبة إلى من هو معني به من أولاد أو تلاميذ أو سائر أفراد المجتمع.

وتتأكد الحاجة إلى ذلك في الدين بالنظر إلى ما تضمنه من كون هذه الحياة فرصة ومضماراً للسباق في التبصر والسلوك الفاضل والسليم، وسوف تظهر نتائجه غداً في نشأة أخرى. ومن ثم نجد التأكيد على القيم السلوكية والتربوية في الدين.

فالهدف من هذه السلسلة أن نتشارك مع الإخوة الأعزة المعاني التربوية السليمة لأننا في مسيرة واحدة في هذه الحياة.

المحتويات

تمهيد ٥

دور القيم الأخلاقية في السلوك الراشد ١٠

خطوات ضرورية في التربية القيمية ٢٧

أقسام القيم الإنسانية ٣٤

أصول القيم الفاضلة ٣٨

الحقوق العامة ٤١

الكمالات الإنسانية ٤٤

الأخلاق والدين ٤٥

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على جميع الأنبياء والمرسلين، لاسيّما (محمّد) خاتم النبيّين، وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

يسرّني اللقاء بالإخوة الأعزّة ـ من طلبة الجامعات ـ للحديث مرّة أخرى حول السلوك التربوي الراشد في الحياة وتجربتي حول ذلك.

تمهيد:

لا شك أن الإنسان مجهز بميول وغرائز طبيعية كالأكل والشرب والتزاوج وغيرها، ومن المشروع له في ضوء ذلك أن يستجيب لهذه الميول والغرائز

لكن ليس هناك من شك أيضاً في أن هناك محددات راشدة يجب عليه أن يراعيها، فلا يجوز له أن يسترسل في الاستجابة لميوله وغرائزه، وتلك المحددات بطبيعة الحال مضمَّنة في فطرة الإنسان، فالفطرة الإنسانية تشتمل على مبادئ تلك المحددات، ثم تتبلور تلك المحددات تدريجاً مع اكتساب الإنسان للرشد، حتى يبلغ

المستوى النوعي المقبول الذي تصح معه معاتبته ومعاقبته، ويُحمَّل مسؤولية عمله وسلوكه عند العقلاء.

وقد لاحظتُ أن هذه المحددات تبتني على دعامتين:

١ ـ دعامة الحكمة، وتعني اختيار الإنسان لسلوكٍ سوف يسعد به غداً عندما تظهر نتائج العمل ومضاعفاته، فيفرح من اختياره المسبق ويراه صائباً وراشداً، وفي مقابل ذلك اختيار الإنسان لسلوكٍ يوجب ندمه عند مشاهدة مضاعفات السلوك وآثاره، مما يدل على كونه اختياراً خاطئاً غير ملائم لغايات الإنسان البعيدة والأعمق في هذه الحياة.

٢ ـ دعامة الفضيلة، وتعني مراعاة الإنسان للقيم الأخلاقية المودعة في الضمير الإنساني مثل قيمة العدل والإحسان والترحم والصدق والعفاف وأخواتها.

وكنتُ قد وصفت تجربتي وانطباعي عن الجزء الحِكَمي من هذه الثنائية في محاضرة سابقة[1]، وبيّنت أهمية هذا الجزء في حياة الإنسان.

---

(١) العدد الأول من هذه السلسلة.

وموضوع البحث في هذا اللقاء هو الجزء القيمي من تجربتي التربوية.

لكنني أستذكر هنا أولاً موجزاً حول الجزء الحكمي، لأعود بعده بالحديث التفصيلي عن الجزء القيمي.

ففيما يتعلق بالجزء الحكمي: لاحظت انه ينبغي لكل إنسان راشد - بعد الانتباه إلى أهمية الحكمة في وصول الإنسان إلى غاياته في الحياة - أن يسعى إلى التحلي بالحكمة تبصراً وسلوكاً من خلال خطوات، منها:

١ - أن يجعل التحلي بالحكمة هدفاً رئيساً له في هذه الحياة حتى يوجه اهتماماته المعرفية والسلوكية ويكون سائقاً لها.

٢ - أن يتحلى بروح التعلم وأخلاقياته فيها، فإنه لن يتأتى للإنسان التحلي بالحكمة إلا بمعرفة صائبة، وسلوك راشد، ولن تحصل معرفة صائبة إلا إذا تحلى المرء بروح التعلم وأخلاقياته كالإنصاف والتواضع والتثبّت وأخواتها.

٣ - أن يسعى إلى تربية نفسه على المعرفة والسلوك الحكيمين، لأن الحكمة ليست مسألة نظرية يتم حلها، بل هي رشد معرفي وسلوكي لن يتوصل

إليه الإنسان ولن يضمن بقاءه إلا من خلال التربية النفسية والسلوكية وأدواتها.

٤ ـ أن يستغني المرء ما أمكنه عن كسب التعلم بالتجربة للأمور، بل ينتفع بتجارب الآخرين من خلال الاعتبار بها واستماع نصائحهم وإرشاداتهم، لأن معرفة الحقيقة عن طريق التجربة والخطأ تطوّل المسيرة على الإنسان وتكلّف الإنسان أحياناً قيمة باهظة للأخطاء التي يقع فيها.

٥ ـ أن يتصف الإنسان بالقدرة على نقد ذاته وتمحيص سلوكياته، ولا يكون تعامله معها تعاملاً مطاوعاً ومصوّباً فحسب، فالقدرة على نقد الذات وتقييم سلوكها تنمي روح الحكمة في الإنسان.

٦ ـ أن يعمل الإنسان على تعميق مكانة المستقبل في أفكاره واهتماماته، حتى لا يفنى في الزمان الحاضر الذي يجد فيه راحة الخطوة التي يخطوها ولذتها ويسعد بها، بل يتأمل آثارها ومضاعفاتها المتوقعة وفق سنن الحياة وقواعدها ومعرفة الأشياء بنظائرها.

٧ ـ أن ينتبه الإنسان إلى وجوه السعادة المعنوية

لأنها قد تخفى عنه ولا تلفت نظره، بينما هي مهمة في نفسها ومهمة أيضاً من حيث تأثيرها في السعادة المادية، ومن تلك الوجوه هو الطمأنينة والسكينة والاستقامة التي تحصل للإنسان بالمعرفة الصائبة والتحلي بالحكمة والإصغاء إلى صوت الضمير، فهذه أمور مهمة ومؤثرة جداً في السعادة الروحية والمعنوية والمادية.

٨ ـ أن ينتبه الإنسان إلى دور الممارسة الحكيمة في تنمية الحكمة، فللممارسة غير بعدها السلوكي الخارجي بعد آخر في تنمية المؤهلات الداخلية، فإن كانت الممارسة حكيمة ساعدت على الرشد الداخلي، وكان له إشعاعات حكمية طبعاً.

٩ ـ أن يتحرى الإنسان الحكمة بشكل خاص في الأمور الخطيرة سواء ما كانت خطورته لذاته، أم كانت خطورته لأجل كونه مزلقة إلى أمثالها وما هو أبعد منها مما يقع في نفس الاتجاه.

١٠ ـ أن ينتبه الإنسان إلى السنن الاجتماعية الفاعلة في الحياة، فإن أخذها بنظر الاعتبار جزءاً لا يتجزأ من السلوك الحكيم، ومن خلال هذه النقطة ترتبط سعادة الإنسان بسعادة من حوله في داخل الأسرة وخارجها ممن يرتبط معه بعلاقات

اجتماعية أو يعيش معه في بيئة واحدة.

وقد لاحظت في ضمن تأملاتي حول علاقة (الحكمة والدين) فوجدت أن الدين أكد على قواعد الحكمة في الحياة بشكل مؤكد، وانطلق منها في بيان الحقائق الكبرى في الحياة والإجابة عن الأسئلة الأعمق للإنسان مثل وجود الله تعالى، وبقاء الإنسان بعد الممات، وأصول الاتجاه الراشد، لكن نبأ الله سبحانه والدار الآخرة يوسّع الآفاق التي يتأملها الإنسان في مقام تحري الحكمة بطبيعة الحال.

هذا إيجاز الجزء الحكمي من تجربتي التربوية في هذه الحياة كما ذكرته في المحاضرة الأولى.

دور القيم الأخلاقية في السلوك الراشد:

وأما الجزء القيمي من تجربتي التربوية التي كوّنتها لنفسي في هذه الحياة: فقد لاحظت أن القيم الأخلاقية تنقسم انقساما جوهريا إلى قسمين:

منها: قيم تمثل إلزاماً للإنسان، فهي بذلك تحدد مشروعية السلوك، فلا يصح السلوك المخالف لها مثل قيمة العدل والصدق والعفاف والوفاء

بالعهد وأخواتها، ونعبر عنها بالقيم الإلزامية، أو بالقيم المحددة لمشروعية السلوك من عدمها، أو بقيم الصحة تشبيهاً لها في شأن نفس الإنسان بالسلوك الصحي في شأن الجسم الذي يحافظ على صحة الإنسان ويقيه من الأمراض.

ومنها: قيم تمثل فضيلةً في السلوك من غير أن تعني الإلزام به وعدم جواز تركه مثل الإنفاق المستحب على الآخرين وإيثارهم على النفس، ونعبر عنها بقيم الاستكمال أو قيم الفضل والتطوع.

والذي وجدته أن القيم الأخلاقية بقسميها هي صفة رائعة للغاية، وهي صفة مميزة بين الصفات الإنسانية الراقية من قبيل المعرفة والحكمة، فهي أرقاها حقاً، فالمعرفة محض اطلاع على الأشياء والوقائع، كما أن الحكمة تنسيق بين السلوكيات والغايات مادية كانت أو معنوية، فمن تجنب شيئاً لأنه يضره كان حكيماً لأنه يتأذى بالضرر ويندم من ارتكاب ما يؤدي إليه.

وأما القيم الأخلاقية فهي لياقات سلوكية ينطلق فيها الإنسان من رعاية معنى نبيل طوعاً من غير أن ينظر إلى غاية مادية وراءها بالضرورة، ومن

ثم فهي ذات طابع تضحوي، فانظر إلى الروعة في موقف إنسان يستطيع ظلم الآخر والاعتداء عليه ولا يخشى في ذلك مضرةً، بل يرجو به لنفسه نفعاً وفائدةً من قبيل إثبات مكانته وكبريائه أو إسكات خصمه أو نحو ذلك لكنه يترك ذلك لأنه لا يرى لنفسه حقاً في ذلك، ولأنه يؤلمه ما يؤلم الآخر.

وإن شئت فانظر إلى روعة موقف من يشكر ما أسداه إليه الآخر من نعمة بالوقوف معه في شدائده من غير أن يطمع في تتابع معروفه، كما في إعانة الأولاد للوالدين عند الشيخوخة والعجز لا لشيء إلا شكراً على معروفهما وانطلاقاً من حقهما عليهم.

وإن شئت فانظر إلى موقف من يرى مضطراً أو مظلوماً أو يتيماً فينطلق إلى إعانته وإسعافه رحمةً عليه وتألماً مما يجده من الأذى، لا سيما إذا كانت الإعانة على سبيل الإيثار على النفس بأن أعانه بما يحتاج إليه نفسه، لأنه وجد معاناة الآخر فوق معاناته، وأرقى من ذلك ما لو أعانه وهو يجد الآخر مثله في المعاناة أو دونه فيها ولكن مع ذلك فضّله على نفسه، فما أعظم معاني الرفعة والرقي

والنبل في مثل هذه السلوكيات الفاضلة على اختلاف مستواها.

إنّني أرى أنّ الخصال الأخلاقية خصال رائعة وجميلة جمالاً معنوياً كبيراً، ولو تأتى للإنسان أن يتخيّلها ويرسمها رسماً ملائماً لكانت صورتها أجمل مثالٍ. وإنّ المرء ليجد فيها طمأنينةً وسكينةً نفسيةً خاصةً كما يجد في أضدادها الحزازة والنكد والاضطراب، فما أحلى وأعذب الصدق والعدل والطيبة والوفاء والعفاف وأخواتها، وما أمرّ وأنكد الظلم والكذب والخبث والخيانة والفحشاء وأخواتها.

وأرى بحسب ما أجده من نفسي أن الإنسان لو راجع نفسه لوجد أنها مطبوعة على استذواق المعاني الفاضلة وحبها والشعور بالرشد فيها، وعلى تقديرها وتقدير أهلها، كما أنها مطبوعة على الاستياء من المعاني الخاطئة وكراهتها والشعور بالخطأ فيها والعتاب عليها والمذمة لأهلها.

ومن ثم فإنّ الإنسان يجري بطبعه على وفق القيم الفاضلة ما لم يطرأ داعٍ إلى مخالفتها، فمن طبيعة الإنسان أن يكون صادقاً في القول، وفياً بالعهد، عدلاً في الحكم، متجنباً عن العدوان، مراعياً

للعفاف.

لكن قد تقع المواجهة بين هذه المعاني الفاضلة وبين المشاعر الغريزية التي تُشعر الإنسان بالسعادة في الاستجابة لها، وبالعناء في مراعاة المعاني الفاضلة في مقابلها، وحينئذٍ توسوس النفس للإنسان بالتخلي عن مراعاة تلك القيم ولو لمرة واحدة، فإن استجاب لها فتح على نفسه باباً من الخطأ والخطيئة، حتى تمحق القيمة الفاضلة في النفس ويخفت صوت الضمير ويعلو صوت الغريرة لتهيمن على الإنسان، إلا أن يتوب عن فعلته ويسعى إلى ترميم داخله وتدارك الشرخ الذي أوجده بانتهاك الفضيلة وارتكاب الخطيئة، وأنّى به رغم ذلك أن يبلغ النقاء الأول.

وقد لاحظت عياناً وبشكلٍ متكرّر أن الإنسان إذا التزم بالقيمة الفاضلة وتمنّع من الاستجابة للغريزة وإغوائها حتى يعبر فورتها ازداد قناعةً بالقيمة، ووجد في نفسه شعوراً متميزاً بالرضا عنها وبالقدرة على إنجاز شيء جيد وامتلاك الإرادة الكافية في تدبير نفسه وقيادتها والإمساك بلجامها، وحقاً ما جاء في الحديث عن الإمام

الصادق عن جده الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام المعروف بالسجاد: «وما تجرعت جرعة أحب إلي من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها»[1].

إنّني أرى أنّ الغرائز والقيم وإن كان كل منهما مودعاً في التكوين النفسي للإنسان، إلا أنهما ليسا في مرتبة واحدة في النفس الإنسانية، بل موقع القيم في النفس الإنسانية أعلى من موقع الغرائز، لأنها تمثل القانون الداخلي للإنسان الذي ينبغي أن يعمل على وفقه في سلوكه، كما أنها تمثل القانون الاجتماعي الذي ينبغي أن يسعى المجتمع إلى ترويجه وتنفيذه.

ولذا يجد الإنسان أنه لا يصح له أن يرتكب ما يسعد به إذا كان ظلماً للآخرين، مثل العدوان على نفس الآخر وعرضه وماله ومكانته.

بل إنني أجد مراعاة القيم الفاضلة ـ خاصةً القيم المحددة لمشروعية السلوك ـ على العموم أقرب إلى الحكمة والسعادة لو نظر الإنسان إلى الأعمال ومضاعفاتها النفسية والاجتماعية الحالية والمستقبلية نظرةً نوعيةً جامعةً وشاملةً وتأمّل

(١) الكافي ج:٢ ص:١٠٩ ح:١.

التأصيل المناسب الذي ينبغي أن يعوّل عليه المرء في سنن السعادة والشقاء.

فقد لاحظت أن ممارسة القيم الفاضلة تعطي للإنسان مشاعر داخلية إيجابية ملهمة كالشعور بالطمأنينة والاستقرار والصفاء والإنجاز، وهذه المشاعر بنفسها تمثل ضرباً من السعادة النفسية المعنوية والروحية، كما أنها تستتبع آثاراً إيجابيةً على سلوك الإنسان الشخصي والاجتماعي، مما يؤدي بدوره إلى سائر عناصر السعادة المعنوية والمادية.

كما لاحظت أن مخالفة القيم الفاضلة (الإلزامية) كما في الكذب والظلم والخيانة ومجانبة العفاف توجب في نفس الإنسان مشاعر سلبية مثل الشعور بالقلق والاضطراب والنكد والازدواجية والرياء والخبث والإحباط، وهذه المشاعر بنفسها تمثل ضرباً من العناء النفسي والمعنوي والروحي للإنسان كما أنها تستتبع آثاراً سلبية على سلوك الإنسان مما يؤثر على عناصر السعادة المعنوية والمادية.

بل إن مخالفة هذه القيم تؤدي إلى اختلال الاستقامة النفسية من المنظور التربوي، لأن

المخالفة تخدش الفطرة البريئة والنقاء الأولي للنفس وتفتح في نفس الإنسان باباً إلى الخطيئة، فهي بذلك مظنة لانزلاق الإنسان إلى الخطيئة وانهيار القيمة الأخلاقية التي تم مخالفتها، وهو أمر لو حدث سيكون له تداعيات سلوكية سلبية على الإنسان، وتستتبع تأثيرات على مجمل المنظومة السلوكية للإنسان في المستوى الشخصي والاجتماعي والذي يؤثر على مجمل وجوه سعادة الإنسان ومنها السعادة المادية.

وهذا المعنى ليس ضرباً من الحدس والتظني، ولكنه قراءة لواقع ما يجري للإنسان مما يمكن أن يجده الإنسان في نفسه والآخرين ـ وخاصة الأطفال والمراهقين..

وفي الحياة شواهد كثيرة على ذلك، فكم يجد الإنسان من آثار إيجابية ترتبت لأشخاص أو للمجتمع بتأثيرهم من جهة ما اتصفوا به من سلوكيات وخصال فاضلة. بينما نجد آثاراً سلبية ترتبت لآخرين أو للمجتمع بتأثيرهم من جهة ما اتصفوا به من سلوكيات وخصال خاطئة.

وكم من عامل عُرف عنه الثقة والأمانة فلم يزل تزداد الثقة به حتى تبوأ مكانةً كبيرة، ونال

سعادةً معنوية ومادية لم يتوقعها، وعامل آخر ربما كان أنشط منه ارتكب الخيانة مرة بإغراء نفسه واعتبرها ذكاءً وشطارةً، ليعود إليها مرة أخرى، حتى صارت عادةً له، وانكشف أمره فخسر موقعه وعمله ومكانته.

نعم من الناس من يظن أن السعادة لن تُنال للإنسان إلا بالخطيئة كالسرقة والخيانة والفاحشة والسب، ولكنني أجد ذلك خطأً ينشأ من النظر إلى السعادة العاجلة دون عواقب الأمور ومضاعفاتها، أو تعليل الإخفاق الناشئ عن عوامل أخرى مثل عدم النشاط في العمل والجد المناسب له إلى الإلزام بالمعاني الفاضلة.

وقد لاحظت ـ كمثال لذلك ـ أحوال العديد من القادة المستبدين السابقين والمعاصرين، ووجدت أنّ انطباعهم عموماً يجري على أن حكمهم لن يدوم ويسلم إلا بظلم المجتمع وقهره، ولكن يجد الإنسان بالتأمل في أحوال العديد منهم خاصة المعاصرين أنهم لو عدلوا بعض الشيء لكان أدوم، وأن آلاف المظالم التي ارتكبوها لم تقرّبهم إلى ما قصدوه من دوامهم ثم دوام الملك لأبنائهم وذريتهم إلى الأبد، بل هلك

العديد من ذريتهم من بعدهم في أثر أفعالهم ولم يُتَح لهم أن يعيشوا ولو حياةً اعتيادية ـ كما عاشها الآخرون ـ، وفي مثل ذلك قيل إن الملك يدوم مع الكفر ولا يدوم مع الظلم.

إنّني أرى أنّ الاعتقاد بأنّ السعادة لن تُنال إلا عن طريق الخطيئة إنما ينشأ من النظر إلى لحظة الشعور بالسعادة دون انتظار عواقب الأمور وتأملها من جهة روح التسرع والاستعجال في الإنسان، ولو اتصف الإنسان بالصبر والتروي وتأمل سلسلة الحوادث بشكل متكامل لم يجد الأمر كذلك.

فإذا افترضت أن هناك صانعاً سرق مالاً من صاحب المحل، فإنك قد تنظر إلى استمتاعه بالمال المسروق فتظن أن تلك سعادة حصلت بالسرقة ولم تكن لتحصل لولاها؟ ولكن قد تنظر إلى توابع هذه السرقة ومجمل تأثيرها على حياة فاعلها فلا تجدها ذات قيمة ـ حتى بغض النظر عن الجانب الأخلاقي ـ وذلك:

أولاً: إنّ هذه السرقة مظنة للانكشاف و لو من حيث لا يحتسبه الإنسان فان الثقة ببقائها طيّ الكتمان زائف في كثير من الأحيان كما يجده الإنسان في شواهد الحياة، و إذا كان السارق لا

يحتمل انكشاف فعلته فانه ينشأ غالبا عن عدم الحذر الكافي و غلبة اجواء الإغراء بالخطيئة، وعليه لا يكون من الحكمة الإقدام عليها عقلاءً على هذه الاحتمالية مع الانتباه إلى الضرر المادي والمعنوي المترتب على هذا الانكشاف إذا حصل.

وثانياً: إنّ هذه السرقة فتحت في داخل صاحبها باباً بأن يسرق كلما وجد فرصةً للسرقة وظن عدم انتباه صاحب المحل، فإن لم يستجب لهذا الداعي عانى من ضغط النفس ووسوسته بشكل كبير على تكرار السرقة وواجه عناءً في ضبطها في كل مرة. وإن استجاب: فإنّ بعض سرقاته بطبيعة الحال عرضة جداً للانكشاف، مما يترتب عليه مضار كبيرة للشخص السارق مثل التأثير السلبي لذلك على مكانته المعنوية ومنافعه المادية.

وثالثاً: إنّ ممارسة السرقة هذه تؤدي إلى كسر الحاجز الفطري تجاه عدد من المنكرات، لأنها من جهةٍ انتهاكٌ لحرمة مال الغير، وخيانةٌ للأمانة التي اؤتمن المرء عليها، ولا ينفك غالباً عن الحاجة إلى كذبة على صاحب المحل وعلى الآخرين ممن يمكن أن يطّلعوا عليها.

وكسر هذا الحاجز يؤثر تأثيراً سلبياً على السلوكيات المستقبلية للإنسان وما يتفرع عنها من آثار شخصية واجتماعية.

ورابعاً: إنّ لهذه السرقة عبئاً نفسياً على الإنسان، لأنها توجِد فيه حزازةً ونكداً، فهي تخدش النقاء الفطري الذي يرضي الضمير ويلهم الإنسان بالسكينة والطمأنينة، ثم إن المرء يتحمل عبء إخفائها وكتمانها، لأنه إذا باح بها فقد مكانته لدى من يطلع عليها، فهو لا بد أن يمسك لسانه عما يكشف عنها ولا تظهر على فلتات لسانه من حيث لا يحتسب، وربما تكلم بها وأطلع عليها بعض أصدقائه أو زوجته لصعوبة الاحتفاظ بالسر على الإنسان لا سيما عند انقداح مناسبة لذكر الموضوع، فعاد ذلك مسبة عليه وفقد مكانته في نفس غيره إذا تبين أن يده ليست نظيفة.

وخامساً: إنّ انفتاح باب التعويل على السرقة لتحصيل المال في النفس يوجب ضعف الاهتمام النفسي والفكري والسلوكي بتحصيل المال من طريق مشروع، وهذا أمر من شأنه أن يؤثر على مسيرة الإنسان تأثيراً سلبياً كبيرا.

وعلى الإجمال: فإنّ السرقة في الحالة التي

وصفناها ذات آثار سلبية نفسية واجتماعية للإنسان توجب له عناءً وضرراً كبيراً، فهي خطوة عوجاء في البنية النفسية للإنسان، تشعّ دائماً إشعاعاً ضاراً ومؤذياً.

وما من سلوك خاطئ إلا وله تأثير سلبي مماثل على النفس الإنسانية إذا تأمله الإنسان جيداً، لأن السلوك الخاطئ إنما يأتي في الأصل استجابةً لحاجة هي في أصلها حاجة فطرية نظير حاجة السارق في المثال إلى المال وما يتوقف على المال من حوائج من قبيل المأكل والمشرب والترفيه ونحوها، إلا إنّ المزروع في ضمير الإنسان تحديد طريق تحصيل الحاجة بالطريق المشروع، لكن إذا سلك المرء خطوة غير مشروعة في الإيفاء بحاجاته اكتسبت النفس بذلك اتجاهاً جديداً في الإيفاء بالحاجة من الطرق غير المشروعة.

فالخطوة الخاطئة التي يخطوها المرء لن تكون خطوةً يتيمةً ومفردة، بل هي تمثل سبيلاً آخر ينفتح في النفس للوصول إلى تلك الحاجة.

وبذلك ينزلق إلى أمثال تلك الخطوة، حتى تتوسع وتتجذر الخطيئة في نفسه، وبما أن تحصيل الحاجة من دون تقييد النفس بالطرق

المشروعة أوسع للنفس وأسهل، فسوف تختاره النفس في مقام الإيفاء بحاجاتها وتعرض عن الطريق المشروع الذي يشعر بعد انفتاح باب الخطيئة في نفسه إلى أنه يحتاج إلى مزيد من الجهد والعناء، فمن جرّب السرقة والكذب والخيانة والقول بغير علم ومنافيات العفاف للتوصل إلى مقاصده وحوائجه في الحياة اتجه إليها بشكل متكرر ومستمر، لأنه يجد في الأمانة والصدق والوفاء والتثبت والعفاف تضييقاً على النفس في الإيفاء بحوائجها.

بل لاحظت في بعض الخطايا أنها تحرف اتجاه النفس في الإيفاء بالحاجة إلى طريق الخطيئة بحيث لا تستسيغ النفس إيفاء الحاجة بغيرها، ومن ثم يبدو الشخص كأنه مطبوع في فطرته على الخطيئة وليس واقع الحال كذلك، ولكن سهولة الخطيئة ولذتها تؤدي إلى هذه الصفة، وتفتقد بها النفس نقاءها الفطري.

ومن ثم ترى أن من الناس من لا يعيش في تحصيل المال وكسب الجاه إلا على الطرق المحظورة من السرقة والتدليس والغش وقول الزور والعدوان على الغير في نفسه وعرضه وماله وجاهه وما إلى

ذلك، حتى يقال إن فلاناً مجرم بالفطرة أو سارق بالفطرة، وهو أمر خاطئ[1].

---

(١) ومن أخطر الخطايا في هذه الصفة هي الخطايا الأخلاقية البديلة للزواج بين الجنسين، لا سيما إذا وقعت في بدايات انبثاق الشعور الجنسي لدى الإنسان، فإنها تؤدي إلى انحراف الاتجاه الفطري للنفس في الميل إلى الجنس الآخر وابتلائه بالشذوذ ونحوه، حتى أنه قد يؤدي بصاحبه إلى الإعراض عن الزواج المتعارف رغم ما في هذه الثنائية (الذكر والأنثى) من روعة وجمال ومن سعادة وتكامل واستقرار، ولكن انحراف الاتجاه النفسي نحو الخطيئة يجعله يشعر بالسعادة فيها رغم آثارها السلبية والمدمرة، ومن ثم قد يقال إن هذا شاذ بالفطرة. وهذا خطأ فاحش، وإنما مثله مثل أن يقال إن فلاناً مجرم بالفطرة أو قاتل بالفطرة. ومن المعلوم أن الجرم والقتل ليسا فطرةً للإنسان ولكن من اعتاد على أن يعيش بالجريمة فاكتسب مكانته وماله وعلاقاته وسائر حوائجه من خلالها أشبه أن يكون قد فُطر عليها لأن الجريمة صارت اتجاهاً متجذراً في نفسه في كسب حوائجه الفطرية، وكذلك الأمر في الحاجة إلى الجنس، فإنها حاجة فطرية للجميع ولكن الوقوع في الخطيئة ـ ولو في فترة الطفولة من غير اختيار ولو لمرة واحدة ـ يؤدي إلى تكوّن اتجاه منحرف وخاطئ في الإيفاء بهذه الحاجة، فيعرض المرء عن الاتجاه المشروع النقي والسليم، ويحتاج إلى عناء شديد للتخلص من هذا الاتجاه، نظير وقوع المرء في إدمان المخدرات بمجرد استعمالها لمرة واحدة أو مرات قليلة، وتكيف النفس معها من جهة سرعة أدائها إلى الشعور بالراحة والسعادة فيكون تركها أمراً صعباً للغاية، ويحتاج إلى جهود تربوية شاقة، من خلال ترك الاستجابة للنفس لمرات عديدة حتى يتراجع إلحاحها، والاشتغال بعمل أو مهنة أو تفكير يلهي النفس عن إلحاحها ويلهي الإنسان عن الالتفات إليها، ثم توفير الراحة من طريق آخر مثل تحصيل المال بعمل مناسب ومريح والاندماج في المجتمع مرة أخرى، وقد يحتاج المرء إلى أدوية مساعدة ورقابة مشددة من الآخرين عليه لفترة ثم تخفف تدريجاً حتى يستقر. وكذلك الحال فيمن ابتلي بآفة أخلاقية فإنه يحتاج إلى ترك الاستجابة للنفس مكرراً وإيجاد مشغلة فكرية عنها وتوفير بديل مناسب كالزواج، وترك المعاشرة مع أصدقاء الخطيئة، والاندماج في المجتمع العام، وإحياء

إنّني أرى أنّ النفس الإنسانية مبرمجة على القيم الفاضلة (الإلزامية) وأن السلوك الخاطئ يوجب تشويشاً في هذا البرنامج الفطري الذي زُوّدبه الإنسان.

فحال النفس من هذه الجهة تماثل حال الجسد الذي هو مبرمج على العمل السليم، وتعيق الجراثيم والفيروسات الضارة هذا العمل بما يؤدي إلى حدوث الأمراض أو إلى الموت، فالخطيئة هي جرثومة أخلاقية تدخل في باطن الإنسان فهي تفتك بالبرمجة الفطرية فيه، ولا خلاص منها إلا بالحذر عن تكراره والندم والتألم من حدوثه والانتباه إلى الخطأ فيه، وهو ما يعبر عنه في الدين بـ(التوبة)، لكن تشتمل التوبة في الدين على عنصر إضافي، وهو الاعتذار إلى الله سبحانه عن ذلك، لأنه القيّم على الحياة وقيمها.

وإن شاء الإنسان قرّب إلى نفسه برمجة النفس الإنسانية على وفق القيم الفاضلة (الإلزامية) ببرمجة الأجهزة الذكية المعاصرة، حيث إنه في حال اختلال البرمجة يختل عمل الجهاز تماماً أو أحياناً.

الأمل في النفس لتعيش حياة أسرية محترمة وسعيدة وفق السياقات الراشدة العامة.

ويُمثّل قيم الكمال بمزيد من كفاءة البرنامج وعمل الجهاز بالقياس إلى جهاز آخر جيد ولكنه ليس بكفاءة الجهاز الأول.

إنّ النفس الإنسانية مبرمجة في مرحلة العقل الباطن وفق القيم، وإنّ كل سلوك إنساني له تأثير على العقل الباطن في تنمية جانب أو تضعيفه، فما وافق فطرة الإنسان كان مقوياً يكسب البرنامج الفطري نقطة قوة، وما كان مخالفاً أوجب فيه نقطة ضعف، وهذا بطبيعة الحال يؤثر على تصرفات الإنسان لا سيما التصرفات التي تصدر من دون مزيد توقف وتريث وتفكير كما هو حال معظم تصرفات الإنسان، فإنها تنشأ عن استجابات لحظية من العقل الباطن، وكثيراً ما يكون أصل موقفٍ ما مخططاً لدى الإنسان من خلال التفكير ولكن تكون كيفية عرضه وخصائصه مرهونة بما يحضر للشخص في حينه، ولذلك تجد أن كثيراً من الأساليب والمعاني التفصيلية تأتي بإيحاء من العقل الباطن سواء كان ذلك في تفاصيل الفكرة أو في التعبير عنها إذا لم يكن قد كتبها أو في الإشارات والملامح المرافقة لها وغير ذلك، ومن ثمّ قد يتحقق من الإنسان العديد من الأخطاء

والخطايا في تفاصيل كلامه التي لم يكن مخططاً لها فهي تتضمن كذباً وتسرعاً واتهاماً وما إلى ذلك إلا أن يكون قد هذّب نفسه من قبل.

إنّني عندما أتأمل سنن الفضيلة في داخل الإنسان على هذا المنوال أجد مثالاً آخر من أمثلة عظمة الصانع لا تقلّ عن عظمة السنن والقوانين الفيزيائية التي تبهر كبار علماء الفيزياء، وهي عظمة تدعو إلى الإجلال والخضوع والانحناء أمام هذا الإله العظيم.

خطوات ضرورية في التربية القيمية:

لما تقدّم كله أرى:

أوّلاً: إنّ من الضروري للإنسان أن يعتبر التحلي بالقيم الفاضلة (الإلزامية) غاية عليا لنفسه في هذه الحياة حتى تمثل وجهته في مسيرته وهاجسه الأول فيها، ولا يستبدل هذا الموقع اللائق بها في النفس المهيمن على الميول والغرائز إلى موقع أدنى تكون فيه محكومةً بتلك الميول والغرائز، وتكون هذه الميول حينئذ هي وجهته في هذه الحياة.

بل إذا كان الإنسان طَموحاً ينبغي أن يجعل قيم الكمال أيضاً جزءاً من طموحه تحقيقاً لمزيد من

الكمال والرقي الإنساني، وتداركاً لإخلاله ببعض القيم الفاضلة (الإلزامية)، واستثماراً أفضل لهذه الحياة لأجل نيل رضوان الله سبحانه والدار الآخرة.

وثانياً: إنّه ينبغي للإنسان أن يبذل مع نفسه مساعٍ تربوية لأجل أن يحافظ على ما فُطر عليه من الفضيلة ولأجل أن تكون الفضيلة اتجاهاً نفسياً وسلوكياً له، ليكون هذا الاتجاه صائناً له عن نوازع الخطيئة وممارستها.

إن للإنسان في داخله كيان أخلاقي، يمكن أن يعبر عنه بـ(أنا الأخلاقي)، فعليه أن ينمي هذا الكيان في نفسه ويعظم مكانته في داخله ويشعر نفسه أنه ينبغي أن يترفع عن الخطيئة، فلا يليق به أن يقع في إغوائها ويستجيب لوسوستها، وليقل في ذات نفسه إنه لا يليق بي أن أكذب وأرائي وأخون وأقسو وأرتكب ما يخالف العفاف، فهذه المعاني وأخواتها أمور وضيعة وسافلة من المفروض بي أن أترفع عنها وتكون إرادتي وعزيمتي أقوى من إغرائها.

ولتربية النفس أدوات معروفة هي بعينها ما نستخدمها جميعاً في تربية الأطفال، من أهمها البيئة

الفاضلة، وتتمثل البيئة في الأسرة والأصدقاء والمشاهد التي يراها ويطلع عليها، فإن ذلك كله يخلق جواً نفسياً للإنسان يساعده على رعاية الفضيلة والابتعاد عن الرذيلة والخطيئة، وإذا كان على خلاف ذلك فإنه يؤدي إلى تعرض الإنسان بشكل متكرر لوسوسة الخطيئة وإغرائها، ومن تعرض بشكل متكرر للإغراء والوسوسة كاد أن يستجيب لها، ومن ثم يجب تجنب أصدقاء السوء وشركاء الخطيئة، فإن صداقتهم تؤدي إلى التأسي بهم والابتلاء بمثل ما وقعوا فيه، وعليه بالصداقات مع أهل الفضل والفضيلة فإنها تؤدي إلى التأسي بهم والتأثر بصنيعهم.

وثالثاً: إنّ على الإنسان أن يكون قادراً على نقد نفسه وسلوكه من المنظور الأخلاقي، انطلاقاً من المبادئ والقيم الفطرية التي جُهّز بها، فإنّ من ذاب في نفسه وخصاله وسلوكياته يقع في الخطيئة وهو يعتبرها حسنة، وبذلك يزيّف وعيه الأخلاقي، فالنقد هو الذي يحول دون طروّ الزيف أو يكشفه في حال وقوعه، وقد قال سبحانه في القرآن الكريم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ

صُنْعًا﴾[1].

إنّ النفس الإنسانية بطبيعتها عرضة للصدأ الناشئ من الميول والغرائز وتمويهها، والنقد هو الذي يمنع ويزيل الصدأ الأخلاقي الذي يعرض عليها، فإذا لم يعالجه الإنسان بالنقد شكّل طبقة زائفة في نفس الإنسان حتى يهيمن على عقله الباطن وبذلك يعيق القيم الفطرية عن النشاط والفاعلية.

ونحن نجد هذا المعنى بوضوح في أشخاص نعاشرهم أو نطّلع عليهم في الإعلام، لا سيما في بعض من يتصدى لإدارة الأمور العامة، وكل ذلك مؤشر على وجود استعداد للإنسان بطبيعته للوقوع في زيف كبير يحجب عنه، مما يقتضي اتخاذ الحذر والحيطة تجاه ذلك، فإنّ الناس أمثال، وما جاز على بعضهم جاز على بعض آخر.

وأقبح شيء في الإنسان أن يكون هناك حجاب بينه وبين نفسه ومبادئه وعقله، بأن يغالط نفسه فيما بينه وما بينها ويكذب عليها، حتى يسكت ضميره ويحجر على عقله وإدراكاته، فلا يسمح لها بشيء ينافي ميوله ورغباته وغرائزه، وقد يبتلى

(١) سورة الكهف: ١٠٣ـ١٠٤.

المرء في أفعاله بما يشبه انفصام الشخصية، لأنه حجر على ضميره وعقله في حقل معين، فهو يتعامل مع الأمور بشخصيتين، فهو ذو شخصية مسترسلة في غير ذلك الحقل وأخرى محجور عليها في الحقل المحدد.

إنّ النقد الأخلاقي للنفس يحافظ على الصدق الداخلي للإنسان ـ وهو صدق الإنسان مع نفسه ـ ويعطي للنفس شعوراً داخلياً عميقاً بالانسجام والنقاء والصفاء، بجنب ما يجده من مرارة النقد ووخز الضمير والشعور بالندم أو الإحباط أحياناً، وفقدان النقد الداخلي يؤدي إلى نمو الزيف والرياء والازدواجية والتظاهر في الإنسان.

وكلما تأخر نقد الإنسان لنفسه صار ذلك أصعب، من جهة تراكم الصدأ والمخلفات على الضمير والعقل الباطن، فيحتاج إزاحته إلى مراجعة عميقة يتعرض لها في الحياة من حوادث منبهة تقع حوله، أو مضاعفات خطيرة متجمعة في أوقات الغفلة تحدث انفجاراً، فإذا بالمرء يشعر حتى كأنّه كان يغطّ في نوم عميق، وسكرة مذهلة، لكن من الناس من لا يستيقظ أبداً حتى يرحل

عن هذه الحياة، لأنه وضع على تخطئته لنفسه خطاً أحمر، فلا يمكن له أن يتقبل أي نقد لا سيما إذا كان يعني خطأ مسيرة طويلة بأكملها.

إنّني أرى أنّ النقد الداخلي للإنسان يعبر عن حراك الضمير وحيويته ويعبّر عن قيامه بدوره الرقابي والقضائي السليم في داخل الإنسان، وتصدّره في ترتيب مراكز القوى داخل الإنسان، وعدم الهيمنة عليه من قبل الميول والغرائز الإنسانية، ويحول دون تبدّل العناوين الأخلاقية غطاء لتصرفات مضادة لها، مثل أن يصير العدل عنواناً للظلم، والإحسان عنواناً للإساءة، والصدق عنواناً للكذب والقول بغير علم، والحب الطاهر عنواناً للميول الغريزية، والترحم عنواناً للاستغلال، والإصلاح عنواناً للإفساد، والإرشاد عنواناً للإضلال، كما جاء في القرآن الكريم عن قوم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[1].

فنقد الذات أهم وسيلة تربوية في مقام تربية النفس والرقيّ بها، وليس للإنسان غنى عن نقد

(١) سورة البقرة: ١١ـ١٢.

نفسه كما لا غنى للطفل عن التوجيه النقدي من قبل والديه ومعلّمه، لكن الناقد للإنسان الراشد نفسه وليس شخصاً آخر، وهذا معنى بلوغ الإنسان مرحلة الرشد، فانه لا يعني بلوغه درجة الكمال، بل يعني إنّه بلغ مبلغا ينبغي أن يكون هو القيّم على نفسه.

كما أن النقد الاجتماعي للإنسان يمكن أن يكون منبهاً له على النقصان في خصال له أو أخطاء في سلوكه، فهو من شأنه أن يساعد الإنسان على اكتشاف نفسه بشكل أدق، لأنه يتناوله بالنقد من دون حجاب ساتر.

على أن الواقع أن الإنسان قد يصل إلى درجة من الوثوق الأناني بالذات بحيث لا ينتبه بأيّ نقد، بل يتلقاه كيداً وعداءً وحسداً ومكابرة.

بل من أخطاء الإنسان ما لا يبيّنها له أحد مراعاةً له ـ لمداراة ورفق أو مداهنة وتصنّع ـ فينحصر السبيل إلى الانتباه إليها بمراجعة الإنسان لنفسه، وقدرته على معرفة قدره وعدم تجاوزه عن حدّه.

إن القدرة على نقد الذات ومراجعتها تساعد الإنسان على الاتصاف بصفات ضرورية في نيل الأخلاق الفاضلة ـ حتى القيم المحددة لمشروعية

السلوك منها والتي هي قيم إلزامية تجب مراعاتها ـ من قبيل صفة التواضع والإنصاف والصدق والإيفاء بالحقوق ونحوها.

ولا ينبغي للمرء أن يقتصر على النقد التوصيفي للذات، بل عليه أن يلتزم بينه وبين نفسه في حال ارتكاب خطأ أو خطيئة ـ أن يتوقى ذلك لاحقاً، بل يلزمه أن يتخذ أدوات تأديبية لنفسه في حال ارتكابه لخطيئة أو خطأ كبير، ليعادل السعادة في الاسترسال في الخطوة الخاطئة بالعناء الذي يبذله كفّارةً عن ذلك، فإذا تسرّع في موقفٍ تجاه غيره اعتذر له وإن كان هذا الاعتذار ثقيلاً عليه، أو صلى ركعتين مستغفراً عن خطيئته، أو منع نفسه من لذةٍ اعتاد عليها فمنعها من وجبة طعام أو جعل وجبته ما يشبع فحسب كالخبز أو خفف من كميته، أو تصدّق بشيءٍ يعزّ عليه على الفقير كما ورد التوجيه ببعض ذلك في نصوص الدين.

أقسام القيم الإنسانية:

إنّني وجدت أنّ القيم الإنسانية تنقسم إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: ما يتعلق بتعامل الإنسان مع نفسه، ويعبر عنه بحق الإنسان على نفسه.

ومضمون هذا الحق أن يتعامل الإنسان مع نفسه تعاملاً حكيماً، ويشتمل ذلك على عدة أمور:

١ ـ أن يقدر الإمكانات التي وُهبها ولا يفرط بها من غير سبب ملائم، كما في نعمة الحياة والسلامة والصحة وسائر نعم الحياة، ومن ثم لا تجيز النفس الإنسانية إلقاء النفس إلى التهلكة بالانتحار، ولا التهور عند المخاطر لغير غاية مناسبة ومعقولة.

٢ ـ أن يرضى الإنسان بمقاديره في هذه الحياة، والمراد بمقاديره هو ما لا يستطيع الإنسان من تغييره مثل العوق غير القابل للعلاج، فلا ينبغي أن يُحبط ويتشاءم ويتراجع إلى الوراء، بل عليه أن يعيش حياةً اعتيادية بنفس مطمئنة ويتأمل سعادته في أمور أخرى مُنحها قد يكون هناك مَن حُرمها، وينطبق ذلك على كافة الأمور التي لا يستطيع تغييرها مثل آبائه وأولاده وقرابته وكثير من الظروف الأسرية والاجتماعية الخاصة والعامة.

٣ـ أن يرضى الإنسان بما يشبه المقادير، وهي أمور قد يستطيع الإنسان تغييرها ولكن ليس إلى وجه أمثل بل إلى وجه مساوٍ أو أسوأ، كمن يستطيع أن يفارق زوجه أو زوجته ولكن من غير أن يحصل

على مزيد من السعادة بذلك، فالأولى به أن يتكيف مع حياته ويسعد بها وينظر إلى إيجابياتها.
ومن الغلط الذي يقع في ذلك ما نجده أحياناً من عدم رضا الناس عن جنسهم وحبهم التشبه بالجنس الآخر، وتلك صفة مؤذية لهم قبل كل شيء، فلو انسجموا مع واقعهم و اقتنعوا به لكانوا أسعد بذلك وأسلم عن الأذى.
٤ ـ أن يستثمر قدراته في هذه الحياة بما يليق بها، ولا يجعلها راكدةً على حالها، ولا سيما في حال الشباب، حيث يستطيع تنمية قابلياته على وجه نافع.
٥ ـ أن يستجيب لغرائزه استجابةً معقولةً وملائمة، ولا يسعى إلى قهر نفسه وإيذائها ومضادتها من غير سبب حكيم، فإن ذلك يكون كبتاً للنفس يؤدي إلى انفعالات غير واعية لا يسيطر عليها، ومن ثم كان من المناسب أن يتزوج الإنسان ويسعى إلى حياة سعيدة تفي بحاجاته الطبيعية.

القسم الثاني: ما يتعلق بتعامل الإنسان مع سائر الناس، والضابط في ذلك أن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه، ومن ذلك أن

يكون حكمه على السلوك الذي يصدر منه والسلوك الذي يصدر تجاهه واحداً، فهذا ضابط العدل والإحسان وضدهما من الظلم والإساءة، وقد أشير إليه في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[1]، وقال الإمام علي عليه السلام في وصيته المذكورة في نهج البلاغة لابنه الحسن عليه السلام: «يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، واكْرَه لَه مَا تَكْرَه لَهَا، ولَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، واسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُه مِنْ غَيْرِكَ، وارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاه لَـهُمْ مِنْ نَفْسِكَ»[2].

القسم الثالث: ما يتعلق بتعامل الإنسان مع سائر الأشياء، مثل الحيوانات والنباتات وسائر أجزاء الطبيعة، وهناك لياقات فطرية بها مثل العامل الرحيم مع الحيوانات الأكثر إدراكاً كالشاة والهرّ، ومثل عدم إيذاء الحيوانات من غير سبب عقلاني، وعدم قطع النباتات عبثاً، وعدم تخريب البيئة لغير وجه ملائم.

---

(١) سورة المطففين: ١ـ٣.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح ص: ٣٩٧.

وسيأتي الحديث عن التعامل اللائق مع الله سبحانه وتعالى في الكلام على (القيم الأخلاقية والدين).

أصول القيم الفاضلة:

إن هناك قيماً فاضلة معروفة يجدها الإنسان في نفسه، وقد يعد منها ما يلي:

١ ـ قيمة عدم الاعتداء على الآخر، وضده الاعتداء عليه في نفس أو عرض أو بدن أو مال أو جاه.

٢ ـ قيمة العدل، وضده الظلم، والمراد بالعدل ليس عدم الاعتداء على الغير فحسب بل التعامل مع المتعدد بالتساوي أو التناسب فيما يتعلق بالاستحقاقات المشتركة، مثل تعامل الدولة مع مواطنيها على وجه متماثل.

٣ ـ قيمة الصدق، ويضاده الكذب والقول بغير علم ولا بصيرة، من قبيل الأوهام والأماني والأدوات غير الموثوقة، ومما يلحق بالكذب الغش والتدليس في الالتزامات كالمعاملات المالية أو الزواج.

ومن الصدق داخلي وهو أن يكون انطباع الإنسان عن نفسه ملائماً لواقعه، فمن ظن بنفسه

فوق ما هو عليه لم يكن صادقاً معها وهو ما يسمى بالغرور، ومن مظاهره التكبر مع الآخرين، ومن ثم يصحّ عدّ التواضع ضرباً من الصدق الداخلي في الإنسان.

٤ ـ قيمة الوفاء بالالتزام، ويضاده الخيانة والنكث والحنث، ويندرج في الالتزامات الثنائية التعاقدات الشخصية، كالمعاملات المالية والزواج، والاجتماعية كالتعاقد بين العشائر، والسياسية كالتعاقد بين الدول، والوفاء في الحقيقة من مصاديق عدم الاعتداء على الغير، والتعامل معه بالعدل، وذلك لحصول حق مكتسب للطرفين بالتعاقد فيكون الإيفاء به عدلاً والتخلف عنه ظلماً واعتداءً.

٥ ـ قيمة الشكر للإحسان، ويضاده الكفران، وهذه القيمة مبنى لحقوق الوالدين على الأولاد، ومبنى لحق الله سبحانه على الإنسان.

٦ ـ قيمة العطف والمحبة والرحمة والإحسان إلى الآخر، ويقابل ذلك اللامبالاة بالآخر وقساوة القلب والكره للآخر، وأما الإساءة فهي عمل سلبي إضافي ينطبق عليه الظلم ويضاد العدل.

٧ ـ قيمة الأدب، وضده عدم الأدب، والأدب

هو حسن التواصل مع الآخر، مثل إلقاء التحية له، ورد التحية بمثلها، والاهتمام بالآخر عند إقباله على الإنسان، ونحو ذلك من المعاني، ويندرج فيه التواضع، وضده التكبر والاحتيال.

٨ ـ قيمة الحياء من الآخر، وهي كراهة الإنسان اطلاع غيره عليه في وضع غير ملائم، أو ذكر شيء غير ملائم أمام الغير كالقول الفاحش.

٩ ـ قيمة العفاف، والمراد به تحديد الاستجابة للغريزة بحدود ملائمة، وتشمل هذه الاستجابة فضلاً عن التعرض الجنسي للآخر خارج تلك الحدود مطلق سلوكيات إغراء الآخر، سواء كان ذلك بعدم الستر على وجه مناسب أو التزين أو النطق والحركة على نحو خاص بداعي الإغراء.

١٠ ـ قيمة الاستغناء النفسي عن المادة وشؤونها[1] على وجه ملائم، وهو ما يعبر عنه بالقناعة والزهد والاقتصاد، وهو مبنى جملة من المعاني المحمودة مثل الصبر وقوة الإرادة والحزم، ويعطي هذا الاستغناء قدرة على رعاية القيم في ظروف التزاحم بين الاهتمامات والمعاني القيمية.

---

(١) وقد تعد هذه الخصلة من الكمالات المعينة على القيم في موردها فلا تكون قيمة مستقلة برأسها.

الحقوق العامة:

إن القيم الفاضلة تدور مدار مراعاة حقوق مبنية على وشائج فطرية جُبل الإنسان على تقديرها والاعتبار بها، ومن أبرزها ـ بعد حق الله سبحانه وتعالى ـ:

١ ـ حق النفس، فإن المرء قيّم على نفسه لينمّيها ويسوقها بالعقلانية والحكمة والفضيلة إلى مراقيها وغاياتها، ولا يتركها إلى غرائزها واسترسالاتها فيظلمها.

٢ ـ حق الإنسانية، فإنّ الإنسانية وشيجة فطرية بين الناس كلهم توجب تجنب العدوان والإساءة فيما بينهم وتقتضي تعاملهم مع بعضهم باللطف والإحسان.

٣ـ حق الوالدين على الأولاد، فإنهما أصل الأولاد في سنن الحياة، وحريٌّ بالمرء أن يُكرم أصله، ثم هما طالما تعبا في تربيته ونشأته في أوقات ضعفه وعجزه، فيليق به أن يقابل إحسانهما بالإحسان ويجازيهما بالشكر والامتنان.

٤ ـ حق الأولاد على الوالدين، فإنهما كانا سبباً في وجودهم، فلزمهما رعايتهم وصيانتهم والقيام على صلاحهم ونصحهم.

٥ ـ حق الأرحام، فإنّ الرحم وشيجة بين أهله، فإنّ بعضهم من بعض، وكل وشيجة تستوجب الصلة وتقتضي الرعاية، وإلا أوجبت حزازةً وأورثت نكداً.

٦ ـ حق الإحسان، فإنّ الإحسان إلى المرء يستوجب الشكر منه، ولا سيما الإحسان المؤكد كما في إحسان الله سبحانه إلى الإنسان ثم إحسان الوالدين إلى الأولاد، وأقبح شيء من المرء في الإنسانية أن يجازي المرء إحسان الآخر بكفرانه، ويسيء إليه بما حازه في أثر فضله عليه.

٧ ـ حق المشاركين في العقيدة في الولاء بعضهم على بعض، فإنّ الاشتراك في العقيدة الصائبة يوجب وشيجةً في الإنسان، حيث يشعر بها أن الجميع في مسيرة واحدة وطريق واحد، فيكون على بعضهم أن يكون ولياً وعوناً للآخر، من غير أن تكون تلك عصبيةً ضد غيرهم ومؤديةً إلى ظلم من سواهم.

٨ ـ حق الاجتماع، فإنّ الله سبحانه خلق الإنسان اجتماعياً، يأنس ببني نوعه ويرتبط مصالح بعضهم ببعض، فعليهم أن يفوا بما توجبه هذه الوشيجة، ويراعوا الصالح الاجتماعي العام في

سلوكياتهم وأفعالهم.

٩ ـ حق الجوار، فإنّ الجوار وإن كان وشيجةً جغرافيةً وقرباً مكانياً إلا أنها تستتبع قرباً بين القلوب واشتراكاً في الهواجس وارتباطاً في المصالح، فعلى بعضهم رعاية بعضٍ آخر.

١٠ ـ حق المعرفة والعشرة والصحبة، فإنّ من شأن هذه المعاني أن تورث تعلقاً في قلب الإنسان يستوجب استجابةً مناسبةً لها، فلكل من عرفه الإنسان أو عاشره أو صاحبه حق عليه بحسب ما يسعه ولو كان تبسماً أو اتصالاً أو سؤالاً أو عوناً أو أنساً.

١١ ـ حق الالتزام والتعاقد، فإذا التزم المرء لأحدٍ بشيءٍ كان عليه الوفاء به والعمل على وفقه، وإنما قيمة المرء باعتبار قوله ووقوفه عند تعهده به.

١٢ ـ حق الزوجية، فإنّ الزوجية عقد، ولكن لا كسائر العقود، لأن الزوجين يتعاقدان على أهم أسرارهما ليكون بعضهما من بعض، فيجب عليهما المعاشرة فيما بينهما بالمعروف والتعامل بينهما بمودةٍ ورحمةٍ حتى يكون أحدهما سكناً للآخر.

١٣ ـ حق الضيافة، فإنّ من استضاف أحداً تعهد

بإكرامه، فعليه الإيفاء بما تعهد به على أحسنه.

١٤ ـ حق الحاكم والولي على المحكوم والمولى عليه في حسن الاستجابة له في مواضعها إعانةً له على الإيفاء بمسؤولياته وإعذاره فيما يحتمل العذر في مثله.

١٥ ـ حق المحكوم والمولى على الحاكم والولي في النصح له وتحري صلاحه وعدم الاستبداد بالأمر من دونه، فإن لم يفعل فقد خان الأمانة وكان ظالماً.

١٦ ـ حق الاشتراك في المدينة أو الوطن، فإنّ هذا الاشتراك يولد وشيجةً فطريةً في الإنسان لها مقتضياتها.

١٧ ـ حق الحيوانات، في الرفق بها ورعايتها وعدم التعمد في إيذائها لغير حاجة تتوقف على ذلك.

الكمالات الإنسانية:

إنّ هناك عدداً من الصفات لا تمثّل بأنفسها قيمة أخلاقية ولكنها تُعتبر كمالات للنفس الإنسانية، إذا استخدمها الإنسان في سبيلٍ صحيح كانت ذات قيمة فاضلة، وإن استخدمها في سبيلٍ خاطئٍ اكتسب صفة الخطيئة، من جملتها:

١ ـ العلم.

٢ـ الفطنة.
٣ـ البراعة.
٤ـ الطموح.
٥ـ قوة العزيمة.
فهذه الصفات يمكن أن تعين الإنسان في المسار الصحيح والراشد كما يمكن أن تعينه في المسار الخاطئ، فهناك من يكون قوي العزيمة إلا أن اتجاهه ظالم فيكون أقوى على الظلم، ولو كان ضعيفاً لكان أسلم له، وهناك من هو قوي العزيمة في اتجاهٍ راشد، فيتضاعف إنجازه السليم في جهة العدل والإحسان والمعروف والعفاف وسائر المعاني الفاضلة. وهكذا الحال في سائر الصفات المذكورة وأخواتها.
فإذا اكتسب الإنسان هذه الصفات واستخدمها في سبيل الخير فاز وسعد بها، وإن استخدمها في سبيل الشر كان عناءً وشقاءً.

الأخلاق والدين:

لقد وصفتُ فيما سبق قيمة الأخلاق بحسب التأمل الإنساني الرشيد والذي فُطر عليه الإنسان.
ولكن ماذا عن الدين الحق الذي هو رسالة الله

سبحانه إلى الإنسان التي تتضمن ـ فضلاً عن الأنباء الكبرى وهي وجود الله سبحانه وبقاء الإنسان بعد الحياة ـ أصول السلوك الراشد في الحياة، وتنبئ عن آثار سلوك الإنسان في النشأة الأخرى، فما هي نظرة الدين إلى الأخلاق.

لقد كنت أتوقع في نفسي بحسب إدراكي العقلاني والفطري أن الدين ينبغي أن يبتني على تقدير السلوك الفاضل، وجعله أساساً في التعليمات والتشريعية الدينية.

وذلك لأنّ الله سبحانه هو الذي خلق الإنسان وأودع فيه الضمير الأخلاقي المشتمل على هذه القيم الفاضلة، فلا يعقل أن تأتي رسالة الله سبحانه إلى الإنسان في تعليم السلوك الراشد إلا تأكيداً على ما ينطوي عليه الضمير الإنساني، وإلا تناقض تكوين الإنسان بما أودع فيه من الضمير مع التشريع الإلهي، وهو غير معقول لأن المكوّن والمشرّع واحد وهو الله سبحانه.

إنّ الأخلاق النبيلة إذا تأملها الإنسان جيداً وعرف ظرافتها وجمالها وعمقها وآثارها في الوجود الإنساني لوجد أنها من عجائب السنن التي سن الكون عليها قد لا تقصر عن تكوين

الجانب الجسدي للإنسان بما يشتمل عليه من الخلية وأجزائها وانتهاءً إلى هذا الجسم الصغير بأجهزته العديدة والدقيقة والذي يعمل كمصنع متكامل.

ومن غير المعقول أن يكون إيداع هذه الأخلاق في داخل الإنسان عبثاً، بل ينبغي أن تكون هي البرنامج المعد لسلوك الإنسان الشخصي والاجتماعي في هذه الحياة، بل فيما بعدها.

فهذا ما توقّعته في شأن نظرة الدين إلى الأخلاق في نفسي.

وقد لاحظت من خلال الاطلاع على الدين صدق ما توقعته وصوابه فعلاً، فقد ابتنى الدين فعلاً على تقدير السلوك الفاضل واعتبر الأخلاق الفاضلة أساساً في التشريع وقاعدته، وجعل تحريها مبنىً للتشريع في المناطق الرمادية.

ومن ثم نلاحظ أن (المعروف) و(المنكر) وما ينتمي إليهما من المعاني انتماءً فطرياً كالعدل والظلم كانت قاعدةً للتعاليم والتشريعات كلها.

بل جعل (تحري المعروف وتجنب المنكر) في تعاليم الدين مؤشراً فطرياً على حقانية الرسالة

وباعثاً على إرسال الرسالات، كما قال سبحانه في تأكيد صدق الرسول ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[2].

ولو تتبع الباحث التشريعات الدينية في القرآن الكريم - على سبيل المثال - تجد أنها تحري لأحد المبادئ الفاضلة المتقدمة بشكل واضح تشير إليها نصوصها من خلال خصائص التشريع وتعليله والسياقات العامة.

فالمبادئ الفاضلة بحسب تأكيد الدين ونصوصه هي دستور هذه الحياة وقانونها الثابت، وهي التي تضمن السعادة للإنسان بشكل عام في هذه الحياة.

بل تضمّن الدين مضافاً إلى ذلك إضافات عدة في تأصيل القيم الفاضلة الأخلاقية من خلال أمور:

الأمر الأول: في شأن الإله، فقد وجدت تأكيد الدين على اتصاف الإله بالقيم الفاضلة من وجهين:

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٢) سورة الحديد: ٢٥.

١ ـ في فعله سبحانه، فهو تعالى يلتزم العدل والصدق والوفاء بالوعد والإحسان والرحمة والشكر والصفح وسائر المعاني الفاضلة، ويتجنب أضدادها كالظلم والكذب والخلف والاعتداء والكفران ونحوها، وقد تكرر إثبات الصفات الفاضلة ونفي أضدادها مئات المرات في القرآن الكريم بصور مختلفة، ومنها (لا يخلف الميعاد، قائم بالقسط، ليس بظلّام للعبيد، رحيم، رحمن، لطيف، ودود، كريم، حليم، شكور، غفور).

٢ ـ في فعل الإنسان وسائر العقلاء من خلقه كالملائكة، فهو سبحانه كما أكد الدين يحب الخير منهم ويكره الشر.

ومن ثم جاء أنه تعالى يأمر بالأعمال الفاضلة كالعدل والإحسان ولا سيما بالوالدين وإيتاء ذي القربى وأداء الأمانة والإنفاق ـ ولا سيما على اليتامى والفقراء والمساكين ـ والعفو والصفح والشكر والمغفرة والمعاشرة بالمعروف وتهذيب النفس وتزكيتها والالتزام بالقيم والمواثيق.

كما جاء أيضاً أنه سبحانه يحب أصحاب الفضائل كالمحسنين والتوابين والمتطهرين والمتقين

والمنفقين والكاظمين للغيظ والعافين عن الناس والصابرين والمقسطين.

وجاء أنه تعالى ينهى عن الخطايا كالفحشاء والمنكر والقول بغير علم والظلم والفساد والاعتداء والغيبة والتجسس والسخرية والفجور والطغيان والاستكبار وأخواتها من الخصال الخاطئة.

كما جاء أنه سبحانه لا يحب أصحاب الخطايا والرذائل كالمعتدين والمكفرين للنعمة (كفار، كفور) والظالمين والمختالين والفخورين والخائنين والمسرفين والمتكبرين والفرحين (فرح البطر) وكل مختال أثيم وخوان كفور.

إذاً القيم الفاضلة وفق ثوابت الدين ليست حالةً خاصةً بالإنسان، بل هي في الأصل صفة الإله التي منحها للإنسان، وهي قانون التعامل بين كل كائنين يتصفان بالعلم والقدرة والاختيار.

الأمر الثاني: في الارتباط بين الله سبحانه وبين الإنسان.

فقد دل الدين أن هذا الارتباط قائم على أساس القيم الفاضلة المبنية على وشيجة الخلق والإنعام - وهي من الوشائج الفطرية المودعة في باطن

الإنسان ـ، فلله سبحانه حقٌّ على الإنسان بالإذعان به والتصديق برسالته ورعاية الأدب معه انطلاقاً من قيمة الشكر والإحسان، كما قال تعالى: ﴿اللَّـهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿اللَّـهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّـهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[3].

وللإنسان أن يعدل الله سبحانه معه ويرفق به ويفي بما وعده إياه من الاستجابة لدعائه ومجازاة ما عمله لله سبحانه بالحسنى، كما قال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[4]، وقال عز وجل: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّـهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّـهُ شَكُورٌ

---

(١) سورة الجاثية: ١٢.
(٢) سورة غافر: ٦١.
(٣) سورة لقمان: ١٤.
(٤) سورة البقرة: ١٥٢.
(٥) سورة فاطر: ٣٠.

حَلِيمٌ﴾[1].

الأمر الثالث: قيمومة الله سبحانه على رعاية القيم في هذه الحياة، وذلك أن الله سبحانه بحكم كونه الخالق والراعي للإنسان وللأشياء هو القيّم على الإنسان والراعي للسلوك الفاضل في هذه الحياة، فهو فضلاً عن إيداعه الضمير الأخلاقي في باطن الإنسان يؤكد على المسيرة الفاضلة ويرعاها ويشوّق إلى الفضيلة وينبّه على حسن مآلها وعواقبها ويعطي مكافأة عليها، كما أنه يحذّر من المسيرة الخاطئة وينبه على سوء مآلها ونتائجها.

ويمكن للإنسان تقريب هذا المعنى إلى نفسه بدور الوالدين في الأسرة حيث إنهما قيّمان على السلوك الراشد للأولاد، فهما يوجهان إليه ويشوّقان عليه بالمكافأة وينبّهان على آثاره الحسنة على مستقبلهم ويحذّران من السلوك الخاطئ وآثاره وقد يهجران الولد أو رعايته أو يزعلان معه كردّ فعل على سلوكه الخاطئ، وإذا تاب الولد فإنّ عليه أن يعتذر إلى والديه مما صدر منه ويطلب منهما الصفح والعفو والتسامح، وهما

(١) سورة التغابن: ١٧.

يفعلان ذلك بالتأكيد إذا كان جاداً، وهما يقدّران كل واحد من الأولاد بدرجة ما يتمتعون به من استجابة ورشد وتفهّم ونضج.

ودور الله سبحانه وتعالى بالنسبة إلى الإنسان يشبه ذلك ـ على أن له المثل الأعلى في كل شيء ـ ولذلك فإنّ الإنسان إذا أخطأ خطيئةً ولو كانت بحق الخلق اقتضى أن يستغفر الله سبحانه ويطلب منه العفو والسماح.

الأمر الرابع: اهتمام الله سبحانه بحسب الدين بحسن تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان، حيث تضمّن أن تعامل الإله مع الإنسان يكون على مثال تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان، كما قال سبحانه: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّـهُ لَكُمْ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء»[2]، وعن الإمام الرضا عليه السلام: «من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق»[3].

لذلك ينبغي على الإنسان أن يكون تعامله مع أي

---

(١) سورة النور: ٢٢.

(٢) جامع أحاديث الشيعة ج: ١٥ ص: ٥٢٩.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج: ٢ ص: ٢٧.

إنسان آخر مبنياً على حب الخير له كما يحبه لنفسه، والسعادة بما أصابه منه، وعلى كراهة الشر له كما يكرهه لنفسه، والتألم مما يصيبه منه.

وليست المحبة شعوراً نفسياً بحتاً لا يترتب عليه إلا الأماني والآمال، فإنّ هذا المقدار وإن كان أمراً جيداً بحدّ ذاته إن لم يكن زائفاً وتلميعاً للإنسان أمام نفسه وضميره ولكنه أضعف الإيمان في منظور الدين، بل ينبغي أن تكون المحبة حافزةً للإنسان على إشراك الغير في سعادته ومشاركة الغير في عنائه (أي عناء الغير).

إنّ النفس الإنسانية التي تفكر بهذه الطريقة هي نفس كبيرة عند الله سبحانه تليق بالتقدير والتكريم والإحسان.

إنّ قلب كل إنسان بعين الله سبحانه فيما يحبه ويكرهه ويفرح به أو يحزنه للآخرين فيما يجده لديهم من نعمة أو بلاء، كما أن كل إنسان قد أوتي إمكانات في هذه الحياة، فبعين الله سبحانه تعامله مع الآخرين في مدى إشراكهم فيها، وكل إنسان اطلع على عناء وألم للآخرين في هذه الحياة فبعين الله سبحانه مدى مشاركته لهم فيه.

ومن لطيف ما جاء حول ذلك بأسلوب الدعاء

ما في دعاءٍ للإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين عليه السلام إذ قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ مَظْلُوم ظُلِمَ بِحَضْرَتِي فَلَمْ أَنْصُرْه، ومِنْ مَعْرُوف أُسْدِيَ إِلَيَّ فَلَمْ أَشْكُرْه، ومِنْ مُسِيء اعْتَذَرَ إِلَيَّ فَلَمْ أَعْذِرْه، ومِنْ ذِي فَاقَة سَأَلَنِي فَلَمْ أُوثِرْه، ومِنْ حَقِّ ذِي حَقٍّ لَزِمَنِي لِمُؤْمِن فَلَمْ أُوَقِّرْه، ومِنْ عَيْبِ مُؤْمِن ظَهَرَ لِي فَلَمْ أَسْتُرْه، ومِنْ كُلِّ إِثْم عَرَضَ لِي فَلَمْ أَهْجُرْه»[1].

الأمر الخامس: ظهور نتاج الفضائل وأضدادها في النشأة الأخرى، ذلك أن السلوك الإنساني في هذه الحياة يثمر نتاجاً ملائماً له بعد هذه الحياة، فإن كان هذا السلوك فاضلاً أنتج نتاجاً كريماً وسعيداً، وإن كان هذا السلوك خاطئاً أنتج نتاجاً مُرّاً وكريهاً، فإنما ينتج الشيء مثله، فالحبة من الحنطة تنتج حنطةً مثلها، والحبة من الحنظل تنتج حنظلاً مثله، فالنتاج إنما هو من سنخ العمل، وكل امرئٍ يحصد نتاج ما زرعه غداً.

وعليه فتكون الأعمال الفاضلة بشائر يُمن وسعادة، والأعمال الخاطئة نذائر شؤم وشقاء

(١) الصحيفة السجادية ص: ١٦٦، الدعاء: ٣٨.

في الحياة الأخرى[1]، بل تكون الحياة مضماراً للسباق بين الفضائل.

وهذا المعنى هو مضمون نبأ الآخرة في الدين.

الأمر السادس: إنّ المؤمن أحق بالاتصاف بالفضيلة في منظور الدين، لأن من شأن ما تقدم من تأصيلات الدين حول الفضيلة وأهميتها أن يضاعف دواعي الإنسان على الفضيلة إلى أقصى حد يتأتى له ويسعه جهده وقدراته، ولذلك جاء في الآيات القرآنية توصيف المؤمن بالله سبحانه بسعيه إلى كل فضيلة، وتجنبه عن كل خطيئة إلا لماماً، كما جاء هذا المعنى في النصوص النبوية:

---

(١) وقد اختلف أهل العلم في أن المفهوم من النصوص الدينية هل قيمة العمل الفاضل في الآخرة إذا صدر بالداعي الإلهي أو أن له قيمة وأثراً إيجابياً ولو صدر بمحض الداعي الفاضل من غير قصد الله سبحانه والدار الآخرة.

فهناك من رأى أن قيمته في الآخرة منوطة بقصد الله سبحانه والدار الآخرة استناداً إلى فهمه لعدد من النصوص، وإن كان من ضم اليه الداعي الفاضل أكثر ثوابا وتقديرا من الله سبحانه، ومن ثمّ حق الإنسان على قصد المعاني الفاضلة كما في قوله تعالى في تعليم الدعاء للوالدين: (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا).

بينما رأى بعض آخر أن للعمل الفاضل ـ اذا أتى به الإنسان منبعثاً من الداعي الفاضل حقاً ـ آثاراً إيجابية في الآخرة، إلا أن يكون صاحبه جاحداً متعمداً لفضل الله سبحانه عليه بالكفر به ـ استفادةً مما دل على حبه سبحانه للمعاني الفاضلة وأهلها وحب الله سبحانه يتمثل في ثوابه ومكافأته ـ.

«المسلم من سلم الناس من يده ولسانه»[1]، وكذلك نصوص الإمام علي عليه السلام التي رُوي نموذجٌ منها في نهج البلاغة، منها خطبة المتقين، كما أن الأدعية أيضاً تربي الإنسان المؤمن على الإحساس بالحاجة إلى الفضيلة وطلبها وسؤال الله سبحانه منها كما نجد ذلك في أدعية الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام المعروف بزين العابدين ولا سيما في دعاء مكارم الأخلاق.

الأمر السابع: إنّ الفهم الصحيح للدين لن يتأتى إلا في ضوء قواعد الفضيلة وأصولها، ومن ثم يجب تحلي المرء بالفضيلة لفهم الدين على وجهه، وإلا أدى به إلى مخالفات صارخة مع القيم الفاضلة كما نجده في الحركات المتشددة التي تتسمى باسم الدين وهي بعيدة عن الفطرة الأخلاقية للإنسان التي هي الأساس الأول للدين في التشريع.

كما أن الدعوة إلى الدين في حقيقتها دعوة إلى الفضيلة والقيم الفاضلة، لأن الدين يمثل التحري الأمثل لها والاهتمام الأرشد بها، فأصول

---

(١) علل الشرائع ج:٢ ص:٥٢٣، وفي السنن الكبرى ج:٦ ص:٥٣٠.

الفضيلة هي أصول التشريع والسلوك السليم في الدين.

ومن ثم لزم في الدعاة إلى الدين أن يكونوا روّاداً إلى الفضيلة وقيمها، ساعين إلى أن يكونوا قدوةً للناس فيها، لا مراءاةً وتظاهراً، بل تذوقاً واتصافاً، حتى يكون ظاهرهم برزاً من واقعهم، وجوارحهم دليلاً على جوانحهم.

ولأجل ذلك جاء في الدين أن الله سبحانه اختار أنبياءه من الأمثل فالأمثل من الناس ممن اتصف بالأخلاق والسداد والصلاح، كما قال تعالى في شأن نبي الإسلام ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

إنّني عندما أتأمل ما جاء في الدين في شأن الفضيلة والقيم الفاضلة وأهميتها في شأن الإله والإنسان أجد مثالاً آخر منيراً من أمثلة إنارة الدين وحقانيته وإضاءته لدرب الإنسان.

هذا ما أردت توصيفه عن تجربتي التربوية التي اهتديت إليها لنفسي في هذه الحياة في الجزء القيمي منها كما وصفت من قبل الجزء الحكمي منها.

---

(١) سورة القلم: ٤.

وإنني أرجو أن لا أكون قد ذكرت ما ذكرت تزكيةً لنفسي في شيء وإنني لأعلم أن وصف الرشد أيسر من العمل به، فرُبّ واصف غير متصف وذاكر غير متذكّر، ورُبّ امرئ بليغ في قوله بطيء في عمله، وربما امرئ لم تختبره الحياة بعدُ في مضامير ها فيحسن القول حتى إذا اختُبر به لم يطبّق ما قال ولم يفِ بما وعد، بل يتذرع بالشبهة ويبرر لنفسه الخطيئة، وإنما الرشد والحكمة والفضيلة كلها هي معانٍ أشبه بالعدل، وهو كما قال الإمام علي عليه السلام أسهل الأشياء في التواصف وأصعبها في التناصف.

ويعلم الله سبحانه أنّي أقرّ بكثيرٍ من الأخطاء والخطايا في سلوكي من قبل وفي خصالي حتى الآن ولا أستحضر من أحد من خلقه مثل ما أستحضره من نفسي، ولا آمن من نفسي أن لا أقع فيها أو في أضعافها لاحقاً إذا لم أسع إلى مزيد من الرشد ولم أقوِّ روح العقلانية والحكمة والفضيلة في داخلي بعونٍ من الله سبحانه وتسديده.

ولكني أردت أن أصف تفكيري وشعوري وتجربتي ليشاركني الآخرون في الاطلاع عليها عسى أن يكون تذكرةً لهم، فإنّ تذكرة بعض

المشاركين في المسيرة الواحدة لبعضٍ بمقتضيات الرشد تحفّز روح الرشد في الإنسان، على أنّ الذاكر قد يكون أغفل في واقع الأمر وعلم الله سبحانه ممن ذكر له ذلك.

و لنختم الكلام بدعاء للإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين عليه السلام فيما جاء في صحيفة أدعيته المعروفة بالصحيفة السجادية، ويعرف هذا الدعاء بدعاء مكارم الاخلاق ، قال:

«اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَبَلِّغْ بِإِيْمَانِي أَكْمَلَ الاِيْمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَانْتَهِ بِنِيَّتِي إِلَى أَحْسَنِ النِّيَّاتِ، وَبِعَمَلِي إِلى أَحْسَنِ الاعْمَالِ.

اللهم وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِي، وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي.

اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي الاهْتِمَامُ بِهِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ، وَأَعِزَّنِي، وَلا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلاَ تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدَيَّ الْخَيْرَ، وَلا تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ، وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الاَخْلاَقِ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ.

اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَلا تَرْفَعْنِي فِيْ النَّاسِ دَرَجَةً إلاّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَلا تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إلاّ أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا.

اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَمَتِّعْنِي بِهُدىً صَالِح لا أَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَطَرِيقَةِ حَقٍّ لا أَزِيْغُ عَنْهَا، وَنِيَّةِ رُشْد لاَ أَشُكُّ فِيْهَا وَعَمِّرْنِي مَا كَانَ عُمْرِيْ بِذْلَةً فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُمْرِي مَرْتَعاً لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ.

اللهم لا تَدَعْ خَصْلَةً تُعَابُ مِنِّي إلاّ أَصْلَحْتَهَا، وَلا عَائِبَةً أُؤَنَّبُ بِهَا إلاّ حَسَّنْتَهَا، وَلاَ أُكْرُومَةً فِيَّ نَاقِصَةً إلاّ أَتْمَمْتَهَا.

اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَأَبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَئَانِ الْمَحَبَّةَ وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةَ، وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلاَحِ

التُّقَـةَ، وَمِنْ عَدَاوَةِ الاَدْنَيْـنَ الْوَلايَةَ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الاَرْحَامِ الْمَبَرَّةَ، وَمِنْ خِـذْلانِ الاَقْرَبِيـنَ النُّصْـرَةَ، وَمِنْ حُـبِّ الْمُدَارِينَ تَصْحيـحَ الْمِقَةِ، وَمِنْ رَدِّ الْمُلاَبِسِـينَ كَرَمَ الْعِشْـرَةِ، وَمِـنْ مَـرَارَةِ خَـوْفِ الظَّالِمِينَ حَلاَوَةَ الاَمَنَةِ.

اللهم صَلِّ عَلَـى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاجْعَلْ لِيْ يَداً عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي وَلِسَاناً عَلَى مَنْ خَاصَمَنِي وَظَفَـراً بِمَنْ عَانَدَنِي وَهَبْ لِـي مَكْراً عَلَى مَـنْ كَايَدَنِـي وَقُـدْرَةً عَلَى مَـنِ اضْطَهَدَنِي وَتَكْذِيبـاً لِمَـنْ قَصَبَنِي(١) وَسَـلاَمَةً مِمَّنْ

(١) تنبّه هذه الفقرة في ضوء ما جاء في سائر فقرات هذا الدعاء خاصة الفقرتين اللاحقتين في التعامل مع المسيئين بالإحسان والكظم والستر على حاجة الإنسان على العموم إلى صيانة نفسه عن ظلم الآخرين وقهرهم واضطهادهم كما يحتاج إلى تسديده لعدم ظلم الآخرين كما جاء في فقرة لاحقة الدعاء لأن يقيه الله سبحانه من أن يَظلم أو يُظلم.

تَوَعِّدَنِي وَوَفِّقْنِي لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَنِي وَمُتَابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَنِي.

اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَسَدِّدْنِي لِأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ، وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ وَأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ وأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ، وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ وَأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ.

اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَأَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ فِيْ بَسْطِ الْعَدْلِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ وَإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ وَإِصْلاَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وَسَتْرِ الْعَائِبَةِ، وَلِينِ الْعَرِيكَةِ،

وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ، وَسُكُونِ الرِّيحِ، وَطِيْبِ الْمُخَالَقَةِ، وَالسَّبْقِ إِلَى الْفَضِيلَةِ، وإِيْثَارِ التَّفَضُّلِ، وَتَرْكِ التَّعْيِيرِ وَالافْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ وَالْقَوْلِ بِالْحَقِّ وَإِنْ عَزَّ وَاسْتِقْلَالِ الخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَاسْتِكْثَارِ الشَّرِّ وَإِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ وَرَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَمُسْتَعْمِلِ الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ.

اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبُرتُ، وَأَقْوَى قُوَّتِكَ فِيَّ إِذَا نَصِبْتُ، وَلاَ تَبْتَلِيَنِّي بِالكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ وَلا الْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ وَلاَ

بِالتَّعَرُّضِ لِخِلاَفِ مَحَبَّتِكَ، وَلاَ مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، وَلا مُفَارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ.

اللهم اجْعَلْنِي أَصُوْلُ بِكَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمَسْكَنَةِ، وَلا تَفْتِنِّي بِالاسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا اضْطُرِرْتُ، وَلا بِالْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ إِذَا افْتَقَرْتُ، وَلاَ بِالتَّضَرُّعِ إِلَى مَنْ دُونَكَ إِذَا رَهِبْتُ فَأَسْتَحِقَّ بِذلِكَ خِذْلاَنَكَ وَمَنْعَكَ وَإِعْرَاضَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللهم اجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رَوْعِي مِنَ التَّمَنِّي وَالتَّظَنِّي وَالْحَسَدِ ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكَ، وَتَدْبِيراً

عَلَى عَـدُوٍّ لَكَ، وَمَا أَجْرَى عَلَى لِسَـانِي مِنْ لَفْظَـةِ فُحْشٍ أَوْ هُجْرٍ أَوْ شَـتْمِ عِرْضٍ أَوْ شَـهَادَةِ بَاطِـلٍ أو اغْتِيَابِ مُؤْمِـنٍ غَائِبٍ أَوْ سَـبِّ حَاضِرٍ، وَمَا أَشْـبَهَ ذَلِكَ نُطْقاً بِالْحَمْدِ لَـكَ وَإِغْرَاقـاً فِي الثَّنَـاءِ عَلَيْـكَ، وَذَهَاباً فِـي تَمْجِيدِ لَكَ وَشُـكْراً لِنِعْمَتِكَ وَاعْتِرَافاً بِإِحْسَانِكَ وَإِحْصَاءً لِمِنَنِكَ.

اللهم صَـلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِـهِ وَلاَ أُظْلَمَنَّ وَأَنْـتَ مُطِيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي، وَلا أَظْلِمَنَّ وَأَنْتَ القَـادِرُ عَلَـى الْقَبْضِ مِنِّـي، وَلاَ أَضِلَّنَّ وَقَدْ أَمْكَنَتْـكَ هِدَايَتِي، وَلاَ أَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِ لَكَ وُسْعِي، وَلا أَطْغَيَنَّ وَمِنْ عِنْدِ لَكَ وُجْدِي.

اللهم إِلَـى مَغْفِرَتِكَ وَفَـدْتُ، وَإِلَى عَفْوِ لَكَ

قَصَدْتُ، وَإِلَى تَجَاوُزِ كَ اشْتَقْتُ، وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا يُوجِبُ لِي مَغْفِرَتَكَ، وَلاَ فِي عَمَلِي مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَ كَ، وَمَا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلَى نَفْسِي إلاَّ فَضْلُكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ اللهم وَأَنْطِقْنِي بِالْهُدى، وَأَلْهِمْنِي أَلتَّقْوَى وَوَفِّقْنِي لِلَّتِي هِيَ أَزْكَى وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَرْضَى.

اللهم اسْلُكْ بِيَ الطَّرِيقَةَ الْمُثْلَى، وَاجْعَلْنِي عَلَى مِلَّتِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَى.

اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَمَتِّعْنِي بِالاقْتِصَادِ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ السَّدَادِ، وَمِنْ أَدِلَّةِ الرَّشَادِ، وَمِنْ صَالِحِي الْعِبَادِ،

وَارْزُقْنِي فَوْزَ الْمَعَادِ، وَسَلاَمَةَ الْمِرْصَادِ.

اللهم خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُخَلِّصُهَا، وَأَبْقِ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي مَا يُصْلِحُهَا؛ فَإِنَّ نَفْسِي هَالِكَةٌ أَوْ تَعْصِمَهَا.

اللهم أَنْتَ عُدَّتِي إِنْ حَزَنْتُ، وَأَنْتَ مُنْتَجَعِي إِنْ حُرِمْتُ، وَبِكَ اسْتِغَاثَتِي إِنْ كَرِثْتُ، وَعِنْدَكَ مِمَّا فَاتَ خَلَفٌ، وَلِمَا فَسَدَ صَلاَحٌ، وَفِيمَا أَنْكَرْتَ تَغْيِيرٌ.

فَامْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ الْبَلاءِ بِالْعَافِيَةِ، وَقَبْلَ الطَّلَبِ بِالْجِدةِ، وَقَبْلَ الضَّلاَلِ بِالرَّشَادِ، وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ مَعَرَّةِ الْعِبَادِ، وَهَبْ لِيْ أَمْنَ يَوْمِ الْمَعَادِ، وَامْنَحنِي حُسْنَ الارْشَادِ.

اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَادْرَأ عَنّي

بِلُطْفِكَ، وَاغْذُنِي بِنِعْمَتِكَ، وَأَصْلِحْنِي بِكَرَمِكَ، وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ، وَأَظِلَّنِيْ فِي ذَرَاكَ، وجَلِّلْنِي رِضَاكَ، وَوَفِّقنِي إِذَا اشْتَكَلَتْ عَلَيَّ الاُمُورُ لاِهْدَاهَا، وَإِذَا تَشَابَهَتِ الاعْمَالُ لازْكَاهَا، وَإِذَا تَنَاقَضَتِ الْمِلَلُ لاِرْضَاهَا.

اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَتَوِّجْنِي بِالْكِفَايَةِ، وَسُمْنِي حُسْنَ الْوِلايَةِ، وَهَبْ لِيْ صِدْقَ الْهِدَايَةِ، وَلا تَفْتِنِّي بِالسَّعَةِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الدَّعَةِ، وَلا تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً، وَلاَ تَرُدَّ دُعَائِي عَلَيَّ رَدّاً؛ فَإِنِّي لا أَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً وَلا أَدْعُومَعَكَ نِدّاً.

اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَامْنَعْنِي مِنَ

السَّـــرَفِ وَحَصِّنْ رِزْقِي مِـنَ التَّلَفِ، وَوَفِّرْ مَلَكَتِـي بِالْبَرَكَـةِ فِيـهِ، وَأَصِبْ بِي سَـبِيلَ الْهِدَايَةِ لِلْبِرِّ فِيمَا أُنْفِقُ مِنْهُ.

اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ الاكْتِسَـابِ، وَارْزُقْنِي مِنْ غَيْرِ احْتِسَاب، فَلاَ أَشْتَغِلَ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالطَّلَبِ وَلا أَحْتَمِلَ إِصْرَ تَبِعَاتِ الْمَكْسَبِ.

اللهم فَأَطْلِبْنِي بِقُدْرَتِكَ مَا أَطْلُبُ، وَأَجِرْنِي بِعِزَّتِكَ مِمَّا أَرْهَبُ.

اللهـم صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِـهِ وَصُنْ وَجْهِي بِالْيَسَـارِ، وَلاَ تَبْتَـذِلْ جَاهِـي بِالاقْتِـارِ فَأَسْـتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِيَ شِرَارَ خَلْقِكَ، فَأُفْتَتَنَ بِحَمْـدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُبْتَلَى

بِـذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الاعْطَاءِ وَالْمَنْعِ.

اللهـم صَـلِّ عَلَى مُحَمَّـد وَآلِـهِ وَارْزُقْنِي صِحَّـةً فِـيْ عِبَـادَة، وَفَـرَاغاً فِـي زَهَادَة، وَعِلْماً فِي اسْتِعمَال، وَوَرَعـاً فِي إجْمَال.

اللهم اخْتِمْ بِعَفْوِ كَ أَجَلي، وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي، وَسَـهِّلْ إِلَـى بُلُوغِ رِضَا كَ سُبُلِي، وَحَسِّن فِي جَمِيعِ أَحْوَالِيْ عَمَلِي.

اللهـم صَـلِّ عَلَـى مُحَمَّـد وَآلِـهِ وَنَبِّهْنِـي لِذِكْـرِ كَ فِي أَوْقَـاتِ الْغَفْلَةِ، وَاسْـتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِـكَ فِي أَيَّامِ الْـمُهْلَةِ، وَانْهَجْ لِي إلى مَحَبَّتِكَ سَـبيلاً سَـهْلَةً أكْمِلْ لِـي بِهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالاخِـرَةِ.

اللهم وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَد مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ، وَأَنْتَ مُصَلٍّ عَلَى أَحَد بَعْدَهُ، وَآتِنا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الاخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنِي بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ النَّارِ»[1].

و نستعيذ بالله سبحانه من علم لا ينفع، وشعور لا يصدق، وتعلّم لا يُفلح، وسريرة لا تصلح، ومن قلب لا يستيقظ، كما نعوذ به من الزيف والتظاهر والمصانعة والازدواجية والرياء والنفاق، والحمد لله رب العالمين

(١) الصحيفة السجادية، الدعاء: ٢٠.

مركز فجر عاشوراء الثقافي
التابع للعتبة الحسينية المقدسة ـ قسم النشاطات العامة
fajrashura.com